و«النظرة» التي نتمنى أن تشاركنا أوروبا بها، لأننا روادها بحكم ما أصابنا وما عانينا منه خلال عقود من الزمن، هي النظرة الانسانية التي تريد تعديل هذا النظام العالمي فلا يعود فيه عالم أول وعالم ثان وعالم ثالث كالذي ينسبوننا اليه، والذي لولاهم لما كان على ما هو عليه. انها النظرة التي تدعو للانفراج الدولي وتنشيط التعايش السلمي القائم مع الحق والعدل، وتدعو الى وقف جنون التسلح ورصد الاموال لصالح الغذاء والعلم والطبابة.

أما «النظام» الذي تتحدث عنه الجبهة، فقد ظلمت فيه أوروبا هذه المرة ولم تظلم لبنان. فأين هو النظام الديمقراطي في لبنان الذي يسمح باقامة حزب شيوعي مثلا، كما هو الحال في الولايات المتحدة نفسها، رمز «العالم الحر» المتصدي للشيوعية. أين هو النظام الديمقراطي، في أية دولة أوروبية، تحول فيها البرلمان الى «بلاط ملكي» يرث فيه الولد والده عن حق أو غير حق، اين اليمين، أين الوسط، أين اليسار في النظام الديمقراطي في لبنان؟

مرة اخرى، نقول ان صرخة الاستغاثة التي أطلقتها الجبهة، في وثيقتها تحت بند «مخاطبة العالم»، لن تجد سبيلها الى أوروبا بمعناها العصري، لانها موجهة الى «بقايا» أوروبية من عهد ما قبل الحرب الثانية من الذين لا يزالون يحلمون بعودة فرنسا الى الجزائر وبريطانيا الى الهند وهولندا الى أندونيسيا... هذا اذا بقي فعلا من بين هذه «البقايا» من له قيمة داخل أوروبا، بل داخل بلده بالذات.

يبقى لصرخة الاستغاثة هذه، جانب آخر لابد من الرد عليه.

عندما تناولنا البند الثاني من الوثيقة، وعنوانه: البنية السياسية، قلنا اننا مع الجبهة في قولها «والصيغة الجديدة يتفق عليها اللبنانيون في مناخ لا اكراه فيه ولا ارهاب إن من الداخل أو من الخارج» واننا نريد تثبيت ذلك للاهمية، وقد جاء الآن وقتها.

ألا يرى أطراف الجبهة، في صرختهم للغرب وقولهم «حربنا حربكم، واذا اندحرنا فيها فلا نندحر وحدنا وحسب بل انتم أيضا المندحرون» دعوة صريحة للتدخل وفرض مناخ الاكراه والارهاب الخارجي؟

وبماذا يفسر أطراف الجبهة، في صرختهم للغرب وقولهم «اننا نجزم ان طاقات ديبلوماسيتكم تقدر، براحة تامة إذا توفرت الارادة، أن توفق توفيقا رائعا بين بقائنا أحراراً أسياداً كرماء وبقاء كل مصالحكم الحيوية في هذا المشرق. بل بقاؤنا دعم في أن واحد لمصالح هذا المشرق ولمصالحكم انتم»؟

اذا كان أطراف الجبهة يرون في الموقف الغربي جنوحاً الى جانب «مصالحه الحيوية» على حساب حرية وسيادة وكرامة لبنان، فذنبها على جنبها وهي التي، قبل أسطر فقط، كانت تملأ الدنيا ضجيجاً بأن لبنان وأوروبا يحملون «نفس القيم والنظرة والنظام». واذا لم يكن الأمر كذلك ألا يرى أطراف الجبهة أنهم في دعوتهم هذه عرضوا أنفسهم بشكل غير لائق كمدافعين عن مصالح الاجنبي في لبنان. والمنطقة؟ ثم ألا يعتبر ذلك أيضا نوعا من استجداء الوسائل لفرض مناخ الاكراه والارهاب الذي قالوا انهم يرفضونه عند تقرير بنية لبنان الجديد!